AYAAT ILM Academy

الدّراسات المتخصصة برنامج

علوم القرآن

الأستاذ الدكتور كمال درويش

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

11

الدراسات التخصصية في علوم القرآن لأكاديمية آيات – كندا

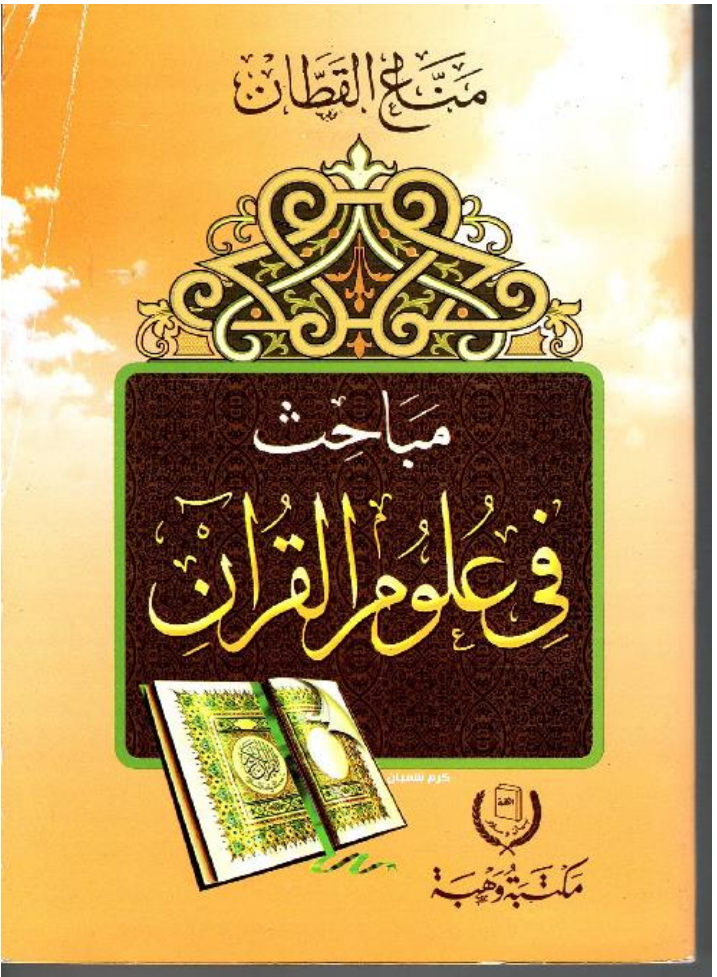

إعداد

نشأة التفسير وتطوره

التفسير في عصر النبي ﷺ

تكفل الله تعالى لرسوله ﷺ بحفظ القرآن وبيانه

التفسير في عصر الصحابة

اعتمد الصحابة على:

1. القرآن الكريم.
2. النبي ﷺ
3. الفهم والاجتهاد

التفسير في عصر التابعين

اعتمد التابعون على:

1. القرآن الكريم.
2. النبي ﷺ
3. ما رووه عن الصحابة
4. ما أخذوه عن أهل الكتاب

التفسير في عصر التدوين

بدأ التدوين في أواخر عهد بني أمية، وأوائل عهد العباسيين. واشتدت عناية جماعة برواية التفسير المنسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين، مع عنايتهم بجمع الحديث.

التفسير في عصر التدوين

بدأ التدوين في أواخر عهد بني أمية، وأوائل عهد العباسيين، وحظي الحديث بالنصيب الأول في ذلك، وشمل تدوين الحديث أبوابًا متنوعة، وكان التفسير بابًا من هذه الأبواب، فلم يُفرد له تأليف خاص يفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية.

واشتدت عناية جماعة برواية التفسير المنسوب إلى النبي -ﷺ- أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين، مع عنايتهم بجمع الحديث. وفي مقدمتهم: يزيد بن هارون السلمي المتوفى 117هـ، وشُعبة بن الحجاج المتوفى 160هـ، ووكيع بن الجرح المتوفى 197هـ، وسفيان بن عيينة المتوفى 198هـ، وروح بن عبادة البصري المتوفى 205هـ، وعبد الرزاق بن همام المتوفى 211هـ، وآدم بن أبي إياس المتوفى 220هـ، وعبد بن حميد المتوفى 249هـ.

جاء بعد هؤلاء مَن أفرد التفسير بالتأليف وجعله علمًا قائمًا بنفسه منفصلًا عن الحديث. ففسر القرآن حسب ترتيب المصحف. وذلك كابن ماجه المتوفى 273هـ، والطبري المتوفى310هـ، وأبو بكر النيسابوري المتوفى 318 هـ. وابن أبي حاتم المتوفى 327هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفى 369هـ، والحاكم المتوفى 405هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفى 410هـ.

ثم جاء على أثر هؤلاء جماعة من المفسرين لم يتجاوزوا حدود التفسير بالمأثور، ولكنهم اختصروا الأسانيد، وجمعوا شتات الأقوال دون أن ينسبوها إلى قائليها، وبهذا التبس الأمر، ولم يتميز الصحيح من السقيم.

التفسير في عصر التدوين

اتسعت العلوم، وتم تدوينها، وتشعبت فروعها، وكثر الاختلاف، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي، واختلطت علوم الفلسفة العقلية بالعلوم النقلية، وحرصت الفرق الإسلامية على دعم مذهبها فأصاب التفسير من هذا الجو غباره، وأصبح المفسرون يعتمدون في تفسيرهم على الفهم الشخصي،، ويتجهون اتجاهات متعددة، وتحكمت فيهم الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية، والثقافة الفلسفية، واهتم كل واحد من المفسرين بحشوه بما برز فيه من العلوم الأخرى، فصاحب العلوم العقلية يُعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة كفخر الدين الرازي. وصاحب الفقه يُعنى بالفروع الفقهية كالجصاص والقرطبي، وصاحب التاريخ يُعنى بالقصص والأخبار كالثعلبي والخازن، وصاحب البدعة يؤول كلام الله على مذهبه الفاسد، كالرماني والجبائي، والقاضي عبد الجبار والزمخشري من المعتزلة وملا محسن الكاشي من الإمامية الاثنى عشرية. وصاحب التصوف يستخرج المعاني الإشارية كابن عربي.

هذا مع علوم النحو والصرف والبلاغة، وهكذا أصبحت كتب التفسير تحمل في طياتها الغث والثمين، والنافع والضار، والصالح والفاسد. وحمَّل كل مفسر آيات القرآن ما لا تتحمله، انتصارًا لمذهبه، وردًّا على خصومه، وفقد التفسير وظيفته الأساسية في الهداية والإرشاد ومعرفة أحكام الدين.

وبذلك طغى التفسير بالرأي على التفسير بالأثر، وتدرج التفسير في العصور المتتابعة على هذا النمط، بنقل المتأخر عن المتقدم، مع الاختصار تارة، والتعليق أخرى، حتى ظهرت أنماط جديدة في التفسير المعاصر، حيث عُني بعض المفسرين بحاجات العصر، وتناولوا في تفسيرهم الكشف عما تضمنه القرآن الكريم من أسس الحياة الاجتماعية، ومبادئ التشريع، ونظريات العلوم، كتفسير الجواهر، وتفسير المنار، والظلال.

التفسير الموضوعي

وبإزاء التفسير العام
في عصور التدوين
كان التفسير الموضوعي
للمباحث الخاصة
يسير معه جنبًا لجنب

- ألَّف ابن القيم كتابه: التبيان في أقسام القرآن
- ألَّف أبو عبيدة كتابًا عن مجاز القرآن
- ألَّف الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن
- ألَّف أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ
- ألَّف أبو الحسن الواحدي في أسباب النزول
- ألَّف الجصاص في أحكام القرآن

طبقات المفسرين

المفسرون من الصحابة

- الخلفاء الأربعة
- ابن مسعود
- ابن عباس
- أبي بن كعب
- زيد بن ثابت

المفسرون من التابعين

في مكة

- مجاهد
- عطاء
- عكرمة
- سعيد بن جبير
- طاووس

في المدينة

- زيد بن أسلم
- مالك بن أنس
- علقمة
- النخعي
- الشعبي

طبقة مصنفي كتب التفسير

- سفيان بن عيينة
- وكيع بن الجراح
- عبد الرزاق
- شعبة بن الحجاج
- ابن أبي شيبة

طبقات أخرى مسندة إلى الصحابة

- علي بن أبي طلحة
- الطبري
- ابن أبي حاتم
- ابن ماجه
- الحاكم

ثم انتصبت طبقة بعدهم: صنفت تفاسير مشحونة بالفوائد اللغوية، ووجوه الإعراب، وما أثر في القراءات بروايات محذوفة الأسانيد، مثل أبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي بكر النقاش، وأبي جعفر النحاس.

طبقات المفسرين

6 ثم ألَّف في التفسير طائفة من المتأخرين، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل.

7 ثم صار كل مَن سنح له قول يورده، ومَن خطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه مَن يجيء بعده ظانًّا أن له أصلًا

8 ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم. منهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن، واقتصر فيه على ما تَمَهَّر هو فيه، كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تبيان كل شيء.

9 ثم جاء عصر النهضة الحديثة: فانتحى كثير من المفسرين منحًى جديدًا، في العناية بطلاوة الأسلوب، وحسن العبارة، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية، والأفكار المعاصرة، والمذاهب الحديثة، فكان التفسير الأدبي الاجتماعي، ومن هؤلاء: محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، وسيد قطب، ومحمد عزة دروزة.

10 وكتب في: «طبقات المفسرين» كثير من أهل العلم مثل:
الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هجرية، الشيخ أبو سعيد صنع الله الكوزه كناني المتوفى سنة 980 هجرية،
والحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المصري المتوفى سنة 945 هجرية

التفسير والتأويل

التفسير في اللغة: تفعيل من الفَسر بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول

وفي الاصطلاح:
علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية

التأويل في اللغة: مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل

في الاصطلاح له معنيان:

1- تأويل الكلام: بمعنى ما أوَّله إليه المتكلم أو ما يؤوَّل إليه الكلام ويرجع، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود. وهو نوعان: إنشاء وإخبار

2- تأويل الكلام: أي تفسيره وبيان معناه.

الفرق بين التفسير والتأويل

1- إذا قلنا: إن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه, فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان أو مترادفان، ومنه دعوة رسول الله – ﷺ – لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»

2- وإذا قلنا: إن التأويل هو نفس المراد بالكلام، فتأويل الطلب نفس الفعل المطلوب، وتأويل الخبر نفس الشيء المُخبر به، فعلى هذا يكون الفرق كبيرًا بين التفسير والتأويل

3- وقيل: التفسير: ما وقع مبيَّنًا في كتاب الله أو مُعيَّنًا في صحيح السُّنَّة؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، والتأويل ما استنبطه العلماء، ولذا قال بعضهم: "التفسير ما يتعلق بالرواية, والتأويل ما يتعلق بالدراية"

4- وقيل: التفسير: أكثر ما يُستعمل في الألفاظ ومفرداتها، والتأويل: أكثر ما يُستعمل في المعاني والجُمل

شرف التفسير: والتفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة.

شــروط المفســر

1. صحة الاعتقاد: فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيرًا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار
2. التجرد عن الهوى: فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان.
3. أن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنه قد فُصل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر.
4. أن يطلب التفسير من السُّنَّة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.
5. فإذا لم يجد التفسير من السُّنَّة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام.

شــروط المفســر

6 فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة ولا في أقوال الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير

7 العلم باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع

8 العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، كعلم القراءات، وعلم التوحيد، وعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة، كمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك.

9 دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

آداب المفسـر

1. حسن النية وصحة المقصد
2. حسن الخلق
3. الامتثال والعمل
4. تحري الصدق والضبط في النقل
5. التواضع ولين الجانب
6. عزة النفس
7. الجهر بالحق
8. حسن السمت
9. الأناة والروية
10. تقديم من هو أولى منه
11. حسن الإعداد وطريقة الأداء

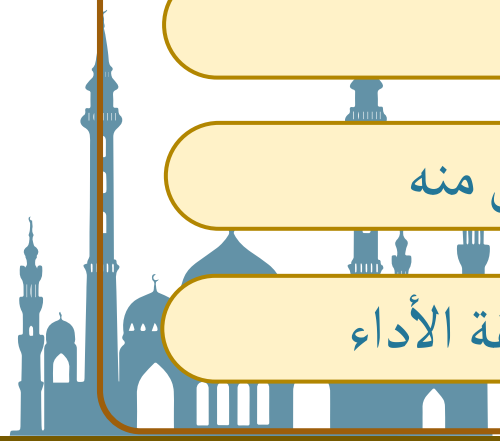

AYAAT ILM
Academy

تمت بحمد الله

المحاضرة الحادية عشرة

أ.د. كمال درويش